الفصل الثاني:

الدَّرس الأوَّل — لَنْ نَرْحَلَ

وَقَفَتْ عُصْفورَتانِ عَلى غُصْنِ شَجَرَةٍ، تَتَحَدَّثانِ عَنِ الطَّعامِ، وَعَنْ مُهاجَمَةِ نَسْرٍ لَهُما بَيْنَ الْحينِ وَالْآخَرِ.

مَرَّ بِالشَّجَرَةِ هَواءٌ عَليلٌ، هَزَّ أَغْصانَها، وَأَلْقى التَّحِيَّةَ عَلى الْعُصْفورَتَيْنِ، وَقالَ: عُصْفورَتانِ جَميلَتانِ تَسْكُنانِ في أَرْضٍ نائِيَةٍ.

قالَتْ إِحْداهُما: هذِهِ أَرْضُنا.

قالَ الرّيحُ: هَيّا ارْكَبا، أُسافِرْ بِكُما.

قالَتِ الثّانِيَةُ: أَيْنَ؟

قالَ: إِلى غاباتٍ كَثيفَةِ الْأَشْجارِ، طَيِّبَةِ الثِّمارِ.

رَدَّتِ الأولى: أَتُريدُنا أَنْ نَرْحَلَ؟

صاحَتِ الثّانِيَةُ: يا ريحُ، أَنْتَ لا وَطَنَ لَكَ، أَمّا نَحْنُ فَهذا وَطَنُنا، وَلَنْ نُغادِرَهُ، وَلَنْ نَرْحَلَ عَنْهُ.

الدَّرْسُ الثّاني — الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ

مَرَّ أَحَدُ الْمُلوكِ عَلى رَجُلٍ حَكيمٍ كَبيرِ السِّنِّ يَزْرَعُ شَجَرَةَ زَيْتونٍ، فَقالَ لَهُ الْمَلِكُ: لِماذا تَغْرِسُ هذِهِ الشَّجَرَةَ، وَهِيَ تَحْتاجُ إِلى سَنَواتٍ لِتُثْمِرَ؟

قالَ الْحَكيمُ: غَرَسَ أَجْدادُنا، فَأَكَلْنا، وَنَغْرِسُ فَيَأْكُلُ أَحْفادُنا.

أَمَرَ الْمَلِكُ بِإِعْطائِهِ مُكافَأَةً عَلى كَلامِهِ الطَّيِّبِ.

أَخَذَ الْحَكيمُ الْمُكافَأَةَ، وَابْتَسَمَ، فَقالَ لَهُ الْمَلِكُ: لِماذا تَبْتَسِمُ؟

قالَ الْحَكيمُ: شَجَرَةُ الزَّيْتونِ تُثْمِرُ بَعْدَ عَشْرِ سِنينَ، وَشَجَرَتي أَثْمَرَتِ الْآنَ.

فَقالَ الْمَلِكُ: أَعْطوهُ جائِزَةً أُخرى. ثُمَّ ابْتَسَمَ الْحَكيمُ مَرَّةً أُخْرى، وَقالَ: شَجَرَةُ الزَّيْتونِ تُثْمِرُ مَرَّةً في السَّنَةِ، وَشَجَرَتي أَثْمَرَتْ مَرَّتَيْنِ. كافَأَهُ الْمَلِكُ مَرَّةً ثالِثَةً، ثُمَّ غادَرَ بِسُرْعَةٍ قائِلاً: لَوْ جَلَسْتُ مَعَهُ لِلصَّباحِ، فَإِنَّ خَزائِنَ الْأَمْوالِ سَتَنْتَهي، وَكَلِماتِ الْحَكيمِ لا تَنْتَهي.

الدَّرْسُ الثّالِثُ — الصِّدْقُ خُلُقي

رَكَلَ ناجِحٌ الْكُرَةَ بِقَدَمِهِ، فَخَرَجَتْ الْكُرَةُ مِنَ الْمَلْعَبِ، وَاتَّجَهَتْ نَحْوَ سَيّارَةِ أَبي مَرْوانَ، وَكَسَرَتْ شُبّاكَها. تَوَقَّفَ اللَّعِبُ، وَصَمَتَ الْأَوْلادُ، ثُمَّ راحوا يَتَحاوَرونَ.

سَميحٌ: نَهْرُبُ مِنَ الْمَكانِ.

موسى: لا، لَنْ نَهْرُبَ، الْهُروبُ لَيْسَ حَلّاً.

شاهِرٌ: نُخْبِرُ الرَّجُلَ، أَنّا لَمْ نَكْسِرِ الشُّبّاكَ، بَلْ وَجَدْناهُ مَكْسوراً.

سَليمٌ: تَذَكَّروا يا أَصْدِقائي، قَوْلَ الرَّسولِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدي إِلى الْبِرِّ»، فَالْكَذِبُ لَيْسَ مِنْ أَخْلاقِنا.

ناجِحٌ: سَأَعْتَرِفُ لِلرَّجُلِ، أَنا الَّذي كَسَرْتُ الزُّجاجَ.

مَشى الْأَوْلادُ حَتّى وَصَلوا بَيْتَ أَبي مروان، رَنَّ سَليمٌ جَرَسَ الْبابِ، فَتَحَ الرَّجُلُ الْبابَ، وَاسْتَغْرَبَ مِنْ تَجَمُّعِ الْأَوْلادِ أَمامَهُ.

أَبو مَرْوانَ: تَفَضَّلوا... تَفَضَّلوا...

سَليمٌ: كُنّا نَلْعَبُ، فَارْتَطَمَتِ الْكَرَةُ بِسَيّارَتِك فَكَسَرَتْ شُبّاكَها، سامِحْنا يا عَمّي.
سامَحَهُمْ أَبو مَرْوانَ لِصِدْقِهِمْ وَشَجاعَتِهِمْ، وَعادوا فَرِحينَ إِلى الْمَلْعَبِ.

الدَّرْسُ الرّابِعُ — مِهْنَةُ أَبي

بَيْنَما كانَ خالِدٌ يَلْعَبُ مَعَ أَصْدِقائِهِ في ساحَةِ الْمَدْرَسَةِ، اصْطَدَمَ بِزَميلِهِ حُسامٍ، فَقالَ حُسامٌ: لا تَلْعَبْ مَعي، فَوالِدُكَ عامِلُ نَظافَةٍ.
غَضِبَ خالِدٌ مِنْ زَميلِهِ حُسامٍ فَتَرَكَ اللَّعِبَ، وَجَلَسَ حَزيناً.
تَقَدَّمَ إِلَيْهِ مُعَلِّمُ الرِّياضَةِ، وَقالَ لَهُ: لِماذا تَرَكْتَ اللَّعِبَ يا خالِدُ؟
خالِدٌ: لَقَدْ سَخِرَ حُسامٌ مِنْ عَمَلِ والِدي.
جَمَعَ الْمُعَلِّمُ الطُّلّابَ وَسَأَلَهُمْ: ما أَفْضَلُ الْأَعْمالِ وَالْمِهَنِ؟ فَأَجابَ كُلُّ طالِبٍ أَنَّ مِهْنَةَ أَبيهِ هِيَ الْأَفْضَلُ.
قالَ الْمُعَلِّمُ: كُلُّ الْمِهَنِ وَالْأَعْمالِ تُؤَدّي خِدْمَةً لِلْمُجْتَمَعِ، وَلا فَرْقَ بَيْنَ عَمَلٍ وَآخَرَ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ: هَلْ مِنْ مِهْنَةٍ لا تُؤَدّي خِدْمَةً لِلْمُجْتَمَعِ؟ سَكَتَ الطُّلّابُ جَميعاً، وَعَرَفَ حُسامٌ أَنَّهُ مُخْطِئٌ بِحَقِّ زَميلِهِ خالِد، فَاعْتَذَرَ مِنْهُ، وَقالَ: لَوْلا عَمَلُ والِدِكَ، لانْتَشَرَتِ الْأَوْساخُ وَالْأَمْراضُ.

الدَّرْسُ الْخامِسُ — الرَّسّامُ الْعَجوزُ

كانَ رَسّامٌ عَجوزٌ يَرْسُمُ لَوْحاتٍ جَميلَةً وَيَبيعُها، وَفي يَوْمٍ مِنَ الْأَيّامِ وَقَفَ فَقيرٌ بِبابِهِ وَقالَ: أَنْتَ غَنِيٌّ، فَلِماذا لا تُساعِدُ الْفُقَراءَ؟ انْظُرْ كَيفَ يُوَزِّعُ جارُكَ الْجَزّارُ اللَّحْمَ عَلى الْفُقَراءِ' رَدَّ عَلَيْهِ الرَّسّامُ الْعَجوزُ: أَنا لا أَمْلِكُ مالاً لِأُساعِدَ بِهِ أَحَداً...
انْزَعَجَ الْفَقيرُ مِنْ رَدِّ الرَّسّامِ' وَأَشاعَ بَيْنَ النّاسِ بِأَنَّ الرَّسّامَ ثَرِيٌّ، لكِنَّهُ بَخيلٌ' فَنَقَموا عَلَيْهِ.
مَرِضَ الرَّسّامُ وَلَمْ يَهْتَمَّ بِهِ أَحَدٌ، وَماتَ وَحيداً. بَعْدَ مَوْتِهِ لَمْ يَعُدِ الْجَزّارُ يُرْسِلُ لِلْفُقَراءِ لَحْماً مَجّانِيّاً' وَعِنْدَما سَأَلوهُ عَنِ السَّبَبِ' قالَ: إِنَّ الرَّسّامَ الْعَجوزَ كانَ يُعْطيهِ كُلَّ شَهْرٍ مَبْلَغاً؛ لِيُرْسِلَ لَحْماً لِلْفُقَراءِ، وَالآنَ وَقَدْ ماتَ تَوَقَّفَ تَوزيعُ اللَّحْمِ الْمَجّانِيِّ. لَمّا عَلِمَ النّاسُ الْحَقيقَةَ، حَزِنوا عَلى الرَّسّامِ، وَنَدِموا عَلى تَقْصيرِهِمْ مَعَهُ.

الدَّرْسُ السّادِسُ — رِحْلَةٌ بِلا صَيْدٍ

اسْتَعَدَّ سَميرٌ وَأَصْدِقاؤُهُ لِرِحْلَةِ صَيْدٍ جَديدَةٍ، مُنْذُ الصَّباحِ الْباكِرِ، جَهَّزوا قارِبَهُمْ وَشِباكَهُم، وَانْطَلَقوا في يَوْمٍ مُشْمِسٍ يَبْعَثُ التَّفاؤُلَ وَالْخَيْرَ وَالْأَمَلَ .
سارَ الْقارِبُ يَشُقُّ الْماءَ بِقُوَّةٍ، وَالصَّيّادونَ يَهْزِجونَ:

هَدّي يا بَحَر هَدّي طَوَّلْنا في غَيْبِتْنا
وَدّي سَلامي وَدّي لِلْأَرْضِ اللّي رَبّتْنا

وَصَلَ الصَّيّادونَ عُرْضَ الْبَحْرِ بَعْدَ أَنْ أَلْقوا شِباكَهُمْ، لِيَجْمَعوها مِنْ جَديدٍ، وَلكِنَّ الْفَرْحَةَ لَمْ تَكْتَمِلْ، فَقَدْ هاجَمَهُمْ زَوْرَقُ الْاحْتِلالِ، وَبَدَأَ يُطْلِقُ رَصاصاتِهِ عَلى قارِبِ الصَّيّادينَ كَالْمَطَرِ الْمُنْهَمِرِ.
أُجْبِرَ الصَّيّادونَ عَلى الْعَوْدَةِ . كانَ أَطْفالُهُمْ في انْتِظارِهِمْ، وَعِنْدَما وَصَلَ الْقارِبُ وَلا أَثَرَ لِلسَّمَكِ فيهِ، سادَ الصَّمْتُ، وَخَيَّمَ شُعورٌ بِخَيْبَةِ الْأَمَلِ عَلى وُجوهِ الْأَطْفالِ.

الدَّرْسُ السّابِعُ — إعْلانٌ في الْغابَةِ

في صَبيحَةِ أَحَدِ أَيّامِ الصَّيْفِ الْحارَّةِ، خَرَجَتْ كُلُّ طُيورِ الْغابَةِ تَبْحَثُ عَنِ الظِّلِّ وَالْماءِ، وَتَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةِ تينٍ كَبيرَةٍ احْتَمَتِ الطُّيورُ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الْحارَّةِ. قَرَأَ الْغُرابُ إِعْلاناً مُلْصَقاً عَلى جِذْعِ الشَّجَرَةِ: « ثَعْلَبُ الْغابَةِ يُحَيِّي جَميعَ الطُّيورِ، وَيَدْعوها لِسَماعِ أَغانيهِ الْجَميلَةِ، ما أَجْمَلَ غِنائي أَيَّتُها الطُّيورُ!».

قالَتِ الْبَبَّغاءُ: لَمْ أَسْمَعْ أَنَّ ثَعْلَباً يُجيدُ الْغِناءَ.

قالَتِ الدَّجاجَةُ: لِنَذْهَبْ وَنُشاهِدْ كَيْفَ يُغَنّي الثَّعْلَبُ. لكِنَّ الْحَمامَةَ قالَتْ: هذِهِ حيلَةٌ مِنَ الثَّعْلَبِ، وكَيْفَ نُصَدِّقُهُ وَهُوَ عَدُوُّنا، وَقَدْ أَكَلَ كَثيراً مِنَ الطُّيورِ؟!

لَمْ تَسْتَمِعِ الطُّيورُ إِلى كَلامِ الْحَمامَةِ، فَذَهَبَتْ إِلى حَفْلَةِ الثَّعْلَبِ يَتَقَدَّمُها ديكٌ مَغْرورٌ.

قالَ الدّيكُ: لَقَدْ جِئْنا لِنَسْتَمِعَ إِلى أَغانيكَ الْجَميلَةِ بِشَرْطِ أَلّا تَعْتَدِيَ عَلَيْنا.

وافَقَ الثَّعْلَبُ عَلى ذلِكَ، وَطَلَبَ مِنَ الدّيكِ أَنْ يُصافِحَهُ. فَمَشى الدّيكُ مُتَباهِياً لِيُعانِقَ الثَّعْلَبَ. فَانْقَضَّ عَلَيْهِ الثَّعْلَبُ وَافْتَرَسَهُ، فَهَرَبَتِ الطُّيورُ نادِمَةً عَلى تَصْديقِ عَدُوِّها الْماكِرِ.

الدَّرْسُ الثّامِنُ — المُخْتَرِعُ الصَّغيرُ

كانَ وَلَدٌ صَغيرٌ يَجْلِسُ مَعَ جَدَّتِهِ، فَسَمِعَ صَوْتاً عالِياً كَالصَّفيرِ يَأْتي مِنَ الْمَطْبَخِ، فَسَأَلَ جَدَّتَهُ: ماذا في الْمَطْبَخِ يا جَدَّتي؟ قالَتْ: إِبْريقُ ماءٍ عَلى الْمَوْقِدِ.

قالَ: إِنَّ الْماءَ لا يُصَفِّرُ.

قالَتْ: إِنَّهُ الْبُخارُ الَّذي يَخْرُجُ مِنَ الْإِبْريقِ عِنْدَما يَغْلي.

نَظَرَ الْوَلَدُ إِلى الْبُخارِ، وَهُوَ يَنْدَفِعُ مِنَ الْإِبْريقِ بِقُوَّةٍ، فَيَرْفَعُ غِطاءَ الْإِبْريقِ إِلى أَعْلى، وَيُكَوِّنُ سَحابَةً صَغيرَةً، ثُمَّ تَخْتَفي. فَكَّرَ الْوَلَدُ وَقالَ: عَجيبٌ أَمْرُ هذا الْبُخارِ، كَيْفَ يَسْتَطيعُ أَنْ يَرْفَعَ غِطاءَ الْإِبريقِ؟ ثُمَّ تساءَلَ: إِذا كانَ الْبُخارُ يَسْتَطيعُ أَنْ يُحَرِّكَ غِطاءَ الْإِبْريقِ، فَهَلْ يَستَطيعُ أَنْ يُحَرِّكَ شَيْئاً أَكْبَرَ؟

كَبُرَ الْوَلَدُ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ أَبَداً ذلِكَ الْبُخارَ الَّذي رَفَعَ غِطاءَ الْإِبريقِ. وَظَلَّ يُفَكِّرُ إِلى أَنْ نَجَحَ أَخيراً في اخْتِراعِ الْآلَةِ الْبُخارِيَّةِ الَّتي تُحَرِّكُ السُّفُنَ وَالْقِطاراتِ، كانَ اسْمُ هذا الْمُخْتَرِعِ الصَّغيرِ (جيمْس واط).

الدَّرْسُ الثّامِنُ — عاقِبَةُ الْخِيانَةِ

جَمَعَ رَجُلٌ أَمْوالَهُ، وَوَضَعَها في كيسٍ، ثُمَّ أَغْلَقَهُ بِإِحْكامٍ، وَتَرَكَهُ عِنْدَ صَديقٍ لَهُ؛ حَتّى يَرْجِعَ مِنْ سَفَرِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ بِهِ أَلْفَ دينارٍ. وَسْوَسَ الشَّيْطانُ لِلصَّديقِ؛ فَفَتَحَ الْكيسَ، وَأَخَذَ الدَّنانيرَ الذَّهَبِيَّةَ، وَوَضَعَ مَكانَها دَراهِمَ فِضِّيَّةً، ثُمَّ أَغْلَقَهُ. وَبَعْدَ مُدَّةٍ طَويلَةٍ عادَ الرَّجُلُ، وَطالَبَ صَديقَهُ بِرَدِّ الْأَمانَةِ، فَأَحْضَرَ الْكيسَ، فَلَمّا فَتَحَهُ، لَمْ يَجِدْ دَنانيرَهُ الذَّهَبِيَّةَ. ذَهَبَ الرَّجُلُ إِلى الْقاضي، وَشَكا إِلَيْهِ، فَطَلَبَ القاضي الْخَصْمَ، فَلَمّا جاءَ سَأَلَهُ: مَتى تَرَكَ الرَّجُلُ الْكيسَ مَعَكَ؟ قالَ الرَّجُلُ: مُنْذُ خَمْسِ سَنَواتٍ. فَفَتَحَ الْقاضي الْكيسَ، وَقَرَأَ الْمَكْتوبَ عَلى الدَّنانيرِ، فَوَجَدَها قَدْ صُنِعَتْ مُنْذُ سَنَتَيْنِ، فَأَمَرَهُ الْقاضي أَنْ يُعيدَ الْأَلْفَ دينارٍ إِلى صاحِبِها، وَعاقَبَهُ عَلى خِيانَةِ الْأَمانَةِ.

الدَّرْسُ الْعاشِرُ — وَطَني الْأَجْمَلُ

سَلْوى فَتاةٌ تُحِبُّ مُشاهَدَةَ الْبَرامِجِ الثَّقافِيَّةِ عَلى التِّلْفازِ أَوْ عَلى الإِنْتَرْنِت، ذاتَ مَساءٍ شاهَدَتْ بَرْنامَجاً ثَقافِيّاً عَنِ الْحَيَواناتِ، وَقَدْ أُعْجِبَتْ بِجَمالِ الطُّيورِ الْمُلَوَّنَةِ، وَالغِزْلانِ السَّريعَةِ، وَالتَّماسيحِ الضَّخْمَةِ.

في الصَّباحِ، وَعَلى مائِدَةِ الإِفْطارِ حَدَّثَتْ والِدَها عَمّا شاهَدَتْهُ عَلى شاشَةِ التِّلْفازِ، وَقالَتْ لَهُ: يا والِدي، هَلْ نَسْتَطيعُ أَنْ نُشاهِدَ مِثْلَ هذِهِ الْحَيَواناتِ في وَطَنِنا فِلَسْطينَ؟

الوالِدُ: نَعَمْ يا سَلْوى، في بِلادِنا توجَدُ حَديقَةٌ كَبيرَةٌ لِلْحَيَواناتِ الْمُتَنَوِّعَةِ.

سَلْوى مُتَلَهِّفَةً: أَيْنَ؟ أَيْنَ؟

الوالِدُ: في مَدينَةِ قَلْقيلِيَّةَ الَّتي تَشْتَهِرُ بِالْجَوافا وَبَيّاراتِ الْبُرْتُقالِ وَاللَّيْمونِ.

سَلْوى: مَتى سَتَأْخُذُني إِلَيْها، فَأَنا مُتَشَوِّقَةٌ لِرُؤْيَةِ الْحَيَواناتِ عَنْ قُرْبٍ.

الْوالِدُ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَنَذْهَبُ جَميعاً إِلى الْحَديقَةِ، جَهِّزي آلَةَ التَّصْويرِ حَتّى تَبْقى هذِهِ الرِّحْلَةُ ذِكْرى جَميلَةً في قُلوبِنا.

الدَّرْسُ الْحادي عَشَر — مِنْ حِكاياتِ الْجَدَّةِ

قالَتِ الْجَدَّةُ: يا هِنْدُ، كُنّا نَمْضي مُبَكِّرينَ إِلى الْحُقولِ رِجالاً ونِساءً، قَبْلَ أَنْ يَطيرَ النَّدى، نَحْمِلُ الْمَناجِلَ، والْماءَ وَالزّادَ، وَعِنْدَما نَصِلُ الْحُقولَ، نَقِفُ جَنْباً إِلى جَنْبٍ، أَمامَ السَّنابِلِ الذَّهَبِيَّةِ، نَحْصُدُ بِمَناجِلِنا الْحادَّةِ بِسُرْعَةٍ مُدْهِشَةٍ، وَكَأَنَّنا في سِباقٍ.

هِنْدُ: إِنَّهُ عَمَلٌ شاقٌّ يا جَدَّة!

الْجَدَّةُ: نَعَمْ، وَلكِنَّنا تَعَوَّدنا عَلَيْهِ، وَعَلى مُداعَبَةِ الْحَشَراتِ الصَّغيرَةِ لَنا، وَخُصوصاً عِنْدَما تَشْتَدُّ حَرارَةُ الشَّمْسِ، وَمَعَ هذا كُنّا نَسْتَمْتِعُ بِالْعَمَلِ الَّذي يَسودُهُ التَّعاوُنُ وَالإِخْلاصُ.

هند: وَما الْمُتْعَةُ فيهِ؟

الْجَدَّةُ: كُنّا نَقْطَعُ الْعَمَلَ بِالْأَهازيجِ الشَّعْبِيَّةِ، وَالْحِكاياتِ وَالنَّوادِرِ، وَنَشْعُرُ أَنَّنا نَجْمَعُ خَيْرَ الأَرْضِ وَبَرَكَتَها، فَنُغَنّي:

شِدِّ زْنودَكْ يا فَلّاح — بُكْرَة عَالغَلَّة تِرْتاح

ازْرَعْ قَمِحْ ازْرَعْ فولْ — صَلّ عَلى طهَ الرَّسول

يا فَلّاحْ شِدِّ ذْراعَكْ — تا مَلّي صاعي وصاعَك

الدَّرْسُ الثّاني عَشَر — البُستانِيُّ وَالثَّعْلَبُ

كانَ بُستانِيٌّ يَعْتَني بِأَشْجارِهِ كُلَّ يَوْمٍ، يَسْقيها وَيُقَلِّمُها، وَذاتَ مَساءٍ مَرَّ بِالْبُسْتانِ ثَعْلَبٌ جائِعٌ، فَرَأى الثِّمارَ النّاضِجَةَ، وَاشْتَهى أَنْ يَأْكُلَ مِنْها، فَكَّرَ كَيْفَ سَيَدْخُلُ الْبُسْتانَ.

دارَ الثَّعْلَبُ حَوْلَ السّورِ، وَجَدَ فُتْحَةً في أَسْفَلِهِ، فَدَخَلَ مِنْها بِصُعوبَةٍ، وَبَدَأَ يَأْكُلُ الْفَواكِهَ حَتّى انْتَفَخَ بَطْنُهُ، وَلَمّا أَرادَ الْخُروجَ لَمْ يَسْتَطِعْ.

قالَ في نَفْسِهِ: أَتَظاهَرُ بِالْمَوْتِ، وَعِنْدَما يَجِدُني الْبُسْتانِيُّ هكَذا سَيَرْميني خارِجَ السّورِ، فَأَهْرُبُ وَأَنْجو.

رَأى الْبُسْتانِيُّ بَعْضَ الْأَغْصانِ مُكَسَّرَةً، عَرَفَ أَنَّ أَحَداً تَسَلَّلَ إِلى الْبُسْتانِ، فَبَحَثَ حَتّى وَجَدَ ثَعْلَباً مُمَدَّداً عَلى الْأَرْضِ، بَطْنُهُ مَنْفوخٌ، وَعَيْناهُ جاحِظَتان.

فَقالَ الْبُسْتانِيُّ: نِلْتَ جَزاءَكَ أَيُّها الْماكِرُ، سَأُحْضِرُ فَأْساً، وَأَحْفِرُ لَكَ حُفْرَةً لِأَدْفِنَكَ فيها.

اخْتَبَأَ الثَّعْلَبُ، وَعِنْدَ الْفَجْرِ خَرَجَ مِنَ الْفُتْحَةِ الَّتي دَخَلَ مِنْها، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلى الْبُسْتانِ، وَقالَ: ثِمارُكَ لَذيذَةٌ، وَلكِنّي لَمْ أَسْتَفِدْ مِنْكَ شَيْئاً، دَخَلْتُ إِلَيْكَ جائِعاً، وَخَرَجْتُ مِنْكَ جائِعاً، وَكِدْتُ أُدْفَنُ حَيّاً.

الدَّرْسُ الثّالِثَ عَشَر — رِسالَةٌ إِلى صَديقَتي

كَتَبَتْ رَوانُ رِسالَةً إِلى إِحْدى صَديقاتِها في الْجَزائِرِ تُدْعى وَفاءُ، تُحَدِّثُها فيها عَنْ مَدينَتِها الْخَليلِ.

عَزيزَتي وَفاءُ، تَحِيَّةً طَيِّبَةً وَبَعْد،،،

مَدينَتي عَريقَةٌ أَسَّسَها الْكَنْعانِيّونَ قَبْلَ آلافِ السِّنينَ، سُمِّيَتْ بِهذا الْاسْمِ نِسْبَةً إِلى نَبِيِّ اللهِ إِبْراهيمَ الْخَليلِ عَلَيْهِ السَّلامُ.

يَبْلُغُ عَدَدُ سُكّانِها مِئَتَيْ أَلْفَ نَسَمَةٍ تَقْريباً، فيها عَدَدٌ مِنَ الْمَبانِي التّاريخِيَّةِ كَالْحَرَمِ الإِبْراهيمِيِّ، وَبِرْكَةِ السُّلْطانِ، وَكَنيسَةِ الْمَسْكوبِيَّةِ وَغَيْرِها.

تَحْتَوي الْبَلْدَةُ الْقَديمَةُ عَدَداً مِنَ الْأَحْياءِ مِثْلَ: حَيِّ الْقَزّازينَ، وَحَيِّ الْقَلْعَةِ، وَحَيِّ بَني دار وَغَيْرِها، وَتَشْتَهِرُ بِأَكْلَتِها الْمَشْهورَةِ (الْقِدْرَة).

تَشْتَهِرُ الْخَليلُ بِعَدَدٍ مِنَ الصِّناعاتِ كَصِناعَةِ الْأَحْذِيَةِ وَالْجُلودِ وَالزُّجاجِ، وَيُزْرَعُ الْعِنَبُ فيها بِكَثْرَةٍ بِأَنْواعِهِ الْمُخْتَلِفَةِ.

عَزيزَتي وَفاءُ، أَدعوكِ مِنْ قَلْبي لِزِيارَةِ فِلَسْطينَ؛ لِتَتَعَرَّفي عَلى مَزيدٍ مِنَ الْمُدُنِ وَالْأَماكِنِ الْجَميلَةِ الَّتي يَحْتَضِنُها هذا الْوَطَنُ الْجَميلُ.

صَديقَتُكِ الْمُخْلِصَةُ

رَوانُ الْخَليل

الدَّرْسُ الرّابِعَ عَشَر — الْحِمارُ وَالثَّوْرُ

قالَ الثَّوْرُ لِلْحِمارِ: أَنْتَ – دائِماً – مُسْتَريحٌ يا صَديقي، وَأَنا أَحْرُثُ في الْحَقْلِ كُلَّ يَوْمٍ.

أَجابَ الْحِمارُ: تَمارَضْ أَيُّها الثَّوْرُ، وَامْتَنِعْ عَنِ الْأَكْلِ وَالْعَمَلِ؛ فَتَسْتَريحَ.

في الصَّباحِ الْباكِرِ، نَظَرَ الْحَرّاثُ إِلى ثَوْرِهِ، فَوَجَدَهُ مَريضاً؛ فَأَبْقاهُ في الْحَظيرَةِ، وَساقَ الْحِمارَ إِلى الْحَقْلِ بَدَلاً مِنْهُ.

بَعْدَ عَمَلٍ شاقٍّ، عادَ الْحِمارُ مُتْعَباً، فَشَكَرَهُ الثَّوْرُ الْمُسْتَريحُ عَلى نَصيحَتِهِ.

قالَ الْحِمارُ في نَفْسِهِ: نَصَحْتُ الثَّوْرَ، فاسْتَراحَ، بَيْنَما أَضْرَرْتُ بِنَفْسي، ما أَتْعَسَني! ثُمَّ قالَ لِلثَّوْرِ: سَمِعْتُ الْحَرّاثَ يَقولُ: إِنْ بَقِيَ الثَّوْرُ مَريضاً فَسَأَبيعُهُ لِلْجَزّارِ لِيَذْبَحَهُ، وَأَنا خائِفٌ عَلَيْكَ.

قالَ الثَّوْرُ: غَداً سَأَخْرُجُ لِلْعَمَلِ، وَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَكَلَ الثَّوْرُ عَلَفَهُ، حَتّى لَمْ يُبْقِ شَيْئاً مِنْهُ في الْمِذْوَدِ.

الدَّرْسُ الْخامِسَ عَشَر — عُمَرُ وَالْأَطْفالُ الْجِياعُ

خَرَجَ الْخَليفَةُ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ، لِيَتَفَقَّدَ أَحْوالَ الْمُسْلِمينَ، فَوَجَدَ امْرَأَةً مَعَها صِبْيَةٌ يَبْكونَ، وَقِدْراً عَلى النّارِ.

فَقالَ عُمَرُ: السَّلامُ عَلَيْكُم.

قالَتِ الْمَرْأَةُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلامُ.

قالَ: ما بالُكُم؟ لِماذا يَبْكي الصِّبْيَةُ؟

قالَتْ: مِنَ الْجوعِ.

قالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ عَلى النّارِ؟

قالَتْ: ماءٌ أُشْغِلُهُمْ بِهِ فَيَظُنّونَهُ طَعاماً وَينامون.

فَبَكى عُمَرُ، وَرَجَعَ مُسْرِعاً إِلى بَيْتِ الْمالِ، فَحَمَلَ كيساً مِنَ الدَّقيقِ، وَجَرَّةَ سَمْنٍ حَتّى وَصَلَ إِلى بَيْتِ الصِّبْيَةِ، ثُمَّ وَضَعَ الدَّقيقَ وَالسَّمْنَ في الْقِدْرِ عَلى النّارِ، وَجَعَلَ يَنْفُخُ تَحْتَهُ، حَتّى نَضَجَ الطَّعامُ، فَأَطْعَمَ الصِّبْيَةَ حَتّى شَبِعوا، وَناموا وَالْخَليفَةُ فَرِحٌ بِهِمْ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُمْ بِنَفَقَةٍ.